كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة الثانية ماستر نقد مسرحي/ السداسي الثالث

مقياس: مسرح مقارن

المحاضرة رقم 01 بعنوان:
"مدخل إلى الأدب المقارن"

كلما اتجهت الأنظار نحو عالمية الأدب والثقافة الإنسانية أو ما يسمى بـ'حوار الحضارات والتفاعل بين الهويات الثقافية المختلفة'، كلما برزت أهمية الأدب المقارن باعتباره جسرا من جسور ذلك التفاعل.

إن ظاهرة التأثر والتأثير بين الآداب قديمة الجذور؛ فقد عرفتها الحضارات منذ زمن بعيد. ويكفي أن نذكر كيف تأثر الأدب الروماني بالأدب الإغريقي عقب غزو روما لأثينا سنة 146 ق.م. فرغم التفوق العسكري للرومان، فإن الانتصار الثقافي كان لأثينا، حيث أصبح التقليد والمحاكاة طابعا بارزا في الأدب اللاتيني، قبل أن ينتقل هذا التأثر بدوره إلى الآداب الأوروبية الكلاسيكية، التي استهلت عصر النهضة بمحاكاة النماذج الإغريقية واللاتينية، معتبرة أن الجمال المطلق لا يوجد إلا عند القدماء. وفي هذا السياق عبّر الشاعر الروماني هوراس عن ضرورة الارتواء من ينابيع الأدب اليوناني بقوله" *:اتبعوا أمثلة الإغريق، واعكفوا على دراستها ليلا ونهارا*".

ومن الأمثلة البارزة أيضا أن الأدب اللاتيني لم يُعرف بأصالة كبيرة قبل امتزاجه بالفكر الإغريقي شعرا وفلسفة. وهنا تتأكد فكرة أن وجود الظاهرة يسبق التنظير لها؛ فالتأثير والتأثر كانا واقعا قائما قبل أن يتأسس علم الأدب المقارن في العصر الحديث.

لقد أسهمت فلسفة الجمال في القرنين السابع عشر والثامن عشر في تمهيد الطريق أمام الدراسات المقارنة. فقد دعا الفيلسوف بوس (BOS)إلى فكرة *النسبية الجمالية*، مؤكدا أن الجمال ليس نموذجا واحدا مطلقا، بل تتعدد أشكاله بتعدد الأزمنة والشعوب واللغات. ومع بروز الحركة الرومانسية في القرن التاسع عشر، تجددت الدعوة إلى الانفتاح على الآداب الأخرى، وهو ما ساعد على تشكل الأدب المقارن كحقل معرفي مستقل.

ومن رواد الفكر المقارن:

- مدام دي ستايل :(Mme de Staël) ربطت بين الأدب الفرنسي والألماني، واعتبرت أن الأمم لا ينبغي أن تغفل مصادر الضوء التي يمكن أن تستعيرها من غيرها، مؤكدة على خصوصية كل شعب في المناخ والتاريخ واللغة.
- سانت بيف :(Sainte-Beuve) حاول تطبيق منهجية مستمدة من العلوم التجريبية على النقد الأدبي، مقترحا تصنيف الأدباء ضمن "فصائل وأنواع" على غرار تصنيفات الطبيعة.
- هيبوليت تين :(Hippolyte Taine) طرح ضرورة دراسة الأدب في ضوء العِرق والبيئة والعصر، باعتبارها محددات أساسية للظاهرة الأدبية، وهو ما وسّع مجال تاريخ الأدب ليتجاوز حدود الأدب القومي نحو الأدب العالمي.

وبالتالي، يُعرّفه محمد غنيمي الأدب المقارن بأنه دراسة "مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها التاريخية المعقدة، سواء من حيث الأجناس والتيارات الفكرية، أو الموضوعات والمواقف والأشخاص، أو حتى الصياغة الفنية وصور البلاد كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى". وبذلك، فالأدب المقارن يبحث في

التفاعل بين الآداب وما ينشأ عنه من أخذ وعطاء على المستويين الإبداعي والنقدي.

أما عن وظائف الأدب المقارن، فتنحصر على النحو الآتي:

1. الحوار الثقافي :يمثل جسرا للتواصل بين الشعوب عبر كشف مظاهر التأثير والتأثر بين النصوص.
2. البعد الإنساني :إبراز وحدة الغايات الإنسانية الكبرى رغم اختلاف وسائل التعبير.
3. الترجمة :وسيلة أساسية لنقل النصوص وإبراز الروابط اللغوية والنفسية بين الأمم.
4. التكافؤ الثقافي :خلق توازن بين الثقافات عبر إقرار قيم التعدد والتنوع.

بينما، يتطلب البحث المقارن جملة من المؤهلات:

- معرفة دقيقة بالتاريخ الأدبي والأحداث السياسية والثقافية المؤثرة فيه.
- إلمام واسع بلغات متعددة لقراءة النصوص بلغاتها الأصلية.
- الاطلاع على المراجع الكبرى والأعمال الكلاسيكية مثل الإلياذة والأوديسة والكوميديا الإلهية ومسرحيات شكسبير.
- امتلاك روح الرحلة والانفتاح على الشعوب لفهم خصوصياتها الفكرية والاجتماعية.

بهذا يصبح الأدب المقارن ليس مجرد دراسة أكاديمية، بل فضاء للحوار والتلاقي الإنساني، يجمع بين الفكر والفن، ويكشف كيف تتحول النصوص إلى جسور عابرة للأزمنة واللغات والحضارات.

المكتبة البيبليوغرافية:

- دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن: محمد زكي العشماوي.
- في الأدب المقارن، مباحث واجتهادات: إبراهيم عوض.
- الأدب العام والمقارن: دانييل-هنري باجو.